

أضواء البيان

@ 300@ وَإِنْ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيَّتُ الْعَنَكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ { ، وقوله : { فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتَدْرِكُهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْفُقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَاءَ مَثَلًا الْفُقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا { ، وكقوله : { مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْفُقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ { ، وقوله : { وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلِ الْوَحْيَةِ الَّتِي نَزَّلْنَاهُ مِنْ السَّمَاءِ { ، وقوله : { ضَرْبَ اللَّهِ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنْهَا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ { ، وقوله : { وَضَرْبَ اللَّهِ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ { ، وقوله : { ضَرْبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاهُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ } . والآيات بمثل هذا كثيرة جداً . وفي هذه الأمثال وأشباهها في القرآن عبر ومواعظ وزواجر عظيمة جداً ، لا لبس في الحق معها . إلا أنها لا يعقل معانيها إلا أهل العلم . كما قال تعالى : { وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنَضُرَّ بِهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا هَآ إِلَّا } الْعَالِمُونَ { . ومن حكم ضرب المثل : أن يتذكر الناس . كما قال تعالى : { وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنَضُرَّ بِهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ } . . .

وقد بين تعالى في مواضع أخر : أن الأمثال مع إيضاها للحق يهدي بها إلى قوماً ، ويضل بها قوماً آخرين . كما في قوله تعالى : { إِنْ سَأَلْتَهُمْ لَئِنْ رَأَوْا قَوْمًا يَعْزِمُ أَنْ يُقَرِّبَهُم إِلَى اللَّهِ وَيَحْلِلُوا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَيُقْبَلَنَّهُمْ مِّمَّنْ رَأَوْا وَلَا يَتَذَكَّرُونَ } .

أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ { ، وأشار إلى هذا المعنى في سورة (الرعد) . لأنه

لما ضرب المثل بقوله : { أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ
بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ
فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُ لُحْمٍ كَذَلِكَ يَضْرِبُ
اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا
يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ {
أتبع ذلك بقوله : { لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْهُدَى وَالَّذِينَ لَمْ
يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَاءً فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ
لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ
وَبِئْسَ الْمِهَادُ } . ولا شك أن الذين